

من أجل الهيكل العظيم نقف بذلة وحدنا وبتوح

من أجل اسوار هذه المدينة نقف بذلة وحدنا وبتوح

من أجل مملكتنا التي بادت نقف بذلة وحدنا وبتوح

آه .. تحزن يا رب على صهيون واجمع شتات ابناء اورشليم

وانتهت زيارتنا « للبراق الشرق » كما هو عندنا ، ولحائط المبكى كما شاع اسمه في العالم ، ولكن رفاقنا للترجمان لم تنته . فقد عرضنا عليه أن يرافقتنا الى المسجد الاقصى وكنيسة القيامة ، ويعلمنا من علمه العزيز .

ومضينا معه في شوارع بيت المقدس وزقاتها الضيقة المتعرجة حتى وصلنا الى ساحات الحرم الشريف . وقد انفتحت صدورنا لرحابتها ونسماتها الحلوة الصافية ، وما حولها من أسوار وقباب ومآذن ، تأخذ بالالباب .

واقبلنا على مسجد الصخرة ، فاذا بنا امام تحفة رائعة من الحسن والجمال ، يبهرك بتنسيقه الهندسي الرائع ، وبجدرانه الثمائية الفاتنة ، وقبته الساحرة ، وكأنها تنقل دعوات المؤمنين الى السماء من غير حجاب .

وخلعنا نعالنا ، ودخلنا . وانبهرت ابصارنا بما رأينا ، ونحن ننتقل في موكب من الجمال والجلال من عمود الى عمود ، ومن نافذة الى نافذة ، كلها ذات ألوان عجيبة ، وظلال غريبة ، يزيد ذلك كله الخط الجمالي الذي كتبت به الايات القرآنية . وكانها اسبغ عليه القرآن جماله وجلاله .

وقادنا الترجمان الى درج نزل بنا الى « الصخرة المشرفة » ، التي تقول الروايات الاسلامية انها تعلقت بقدم الرسول (ص) وهو يعرج الى السماء ؛ وكنت قد سمعت الكثير عنها في عكا ، ونحن نستمع الى قصة الاسراء والمعراج . وكانت الصورة الذهنية أروع من المشاهدة الحقيقية . فلم أجدها معلقة كما سمعت . وآثرت ما سمعت على ما رأيت .

وبجانب الصخرة ، رأيت شيخا طاعنا في السن ، يتعبد ؛ كما كان يتعبد الاجيال والايال من قبله . لقد كان هيكلا ساكنا لا يتحرك ، انه يتمم في دعة وسكون هنا حيث الصفاء والهدوء ؛ خلع الدنيا مع نعليه خارج المسجد ، وجاء هنا يرقص بين يدي ربه ، يلتمس العفو والسكينة والرضا . انها ساعة وجد مع الله . وما أسعد اهل الوجد اذا كانوا قد بلغوا محرابه .

وروي لنا الترجمان ، ونحن نسير في جنبات المسجد ، عن جده ، وكان أحد سدنة المسجد ، انهم كانوا كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران والمسك والعنبر ، ويمزجونه بماء الورد ، ويتركونه طول الليل ؛ وفي الصباح يذهب الخدم الى الحمام فيغتسلون ويرتدون الثياب النظيفة ، ثم يحملون اواني الزعفران فيغسلون الصخرة ، ثم يبخلونها بمباخر من الذهب والفضة ، وفيها عود النذ مخلوطا بالمسك والعنبر . وبعد الفراغ من ذلك كله يخرج المنادون الى الاسواق ، فيدعون الناس الى مسجد الصخرة . ويظل المسجد طيلة الاسبوع وهو يفوح بروائح البخور معطرا بالمسك والعنبر .

قلت للترجمان : ولماذا لا تعلمون ذلك في هذه الايام ؟

قال : الاوقاف فقيرة هذه الايام ، وهذا العمل يحتاج الى نفقة كبيرة . بل ربما لان اجدادنا كانوا يحبون مسجد الصخرة اكثر منا . الله يرحمهم ماتوا . ومات معهم الخير والبركة .